مختار مريض *

للأستاذ مصطفى عبد الرازق

لقيت مختارا أول مالقيته فى باريس عند ما ذهب اليها لاستكمال دراسته فى « مدرسة الفنون الجميلة »

كنا جماعة من الشبان المصريين نسمر فى بعض قهوات « الحى اللاتينى » ، والحى اللاتينى يومئذ مجمع الطلاب ومسرح الشباب ، فهبط علينا فتى أسمر اللون رقيق الجسم ، فيه وداعة وفيه حياء ، تعرف من سحنته ومن سمته ومن حديثه أنه ريفى ، وتلمح فى نظراته التائهة أن استعداده الفطرى يوجه بصره الى مرمى بعيد ، ذلك الفتى هو « محمود مختار » ، وقد أخذ يعرض علينا أوراقا كان يرسم فيها أبطالا من العرب كخالد بن الوليد وغيره ممن حفظ التاريخ فعالهم ولم يحفظ مثالهم .

وكنا كلما اجتمعنا بعد ذلك بمختار فى الحى اللاتينى ، طالعنا بثمرات عمله ، وحدثنا فى فنه الذى يكب عليه ، ويوجه كل همه اليه ، فأحببنا مختارا لما فى شمائله من البساطة والتواضع والصفاء ، واحببناه لشغفه بفنه الجميل ، ولما توسمنا فيه من مخايل النبوغ

ثم غمر الفن مختارا واستحوذت عليه الاوساط الفنية ، وغمرتنا فى الحياة شئون أخر ، فافترقنا زمانا ، وسمعت ذكر مختار حين برزت آثاره الفنية فى الميدان ، وعرضت فى معارض الفن فى باريس ، فنالت من أسنى الجوائز وشهد لها بالبراعة كبار النقاد

وسمعت ذكر مختار حين صور لنهضة مصر تمثالا تجمع فيه للوثوب أبو الهول حتى كاد ينتفض انتفاضا ، فهتفت مصر كلها باسم النابغة مختار .

رأيت النابغة مختارا فاذا الشاب النحيف الأمرد ، قد استوى رجلا مفتولا أصلع الهامة ، طويل اللحية ، عريض الصوت ، ضخم الملامح ، طبعه الفن بطابعه ، والقى عليه من حب الجمال وفهمه جاذبية أهل الجمال ، ديمقراطى النزعة ، ارستقراطى الذوق ، يعجبك حديثه وجدله ، وان كان حديد الطبع سريع الرضا والغضب ، فى نفسه فيض من الصبى والمرح ، كأنما هو على مر السنين يزيد .

منذ ذلك العهد تكررت فرص لقائنا فى السفر والحضر ، فشهدت مختارا فى عمله جاهدا مثابرا مجدا ، حتى حسبته لا يعرف اللهو ، وشهدت مختارا لاهيا مرحا ، حتى ظننته لا يدرى ما الجد ، وبلوته صديقا وفيا ، ووطنيا مخلصا ، وعرفت من جوانب حياته دلائل بر وشهامة ، وصبر وكرامة ، فى شدة الحياة وفى رخائها

ولقد يخيل الى الناس أن مختارا لم تنله فى حياته شدة . ذلك بانه صبور على احداث الحياة ، لا يغيره عسر ولا رخاء . ولعلك لو اطلعت على مختار اليوم ومر فى سرير المرض لوجدته باسما صبورا . ولو أنه كان يقوى على الضحك لملأ الدنيا كعادته ضحكا برغم أوجاعه ووحدته الموحشة .

الأستاذ مختار ، هو صاحب « نهضة مصر » أول تمثال فى تاريخنا الحديث صنعه مصرى ، وهو الذى ابدع للفلاحة المصرية تماثيل لا يستطيع ابداعها الا فنان ماهر نابته الريف المصرى ، وغذاه بمائه وهوائه .

لقد قالوا إن فى تمثال النهضة مآخذ : منها أنه ضئيل فوق قاعدته الضخمة : وأن حجاب الفتاة وتناسب أعضائها ، وموقع يدها من أبى الهول لا يحقق كل ما يشتهى الفن .

ليكن كل ما يقولون صحيحا ! فهل سلم من النقد أثر من آثار المجهود الانسانى فى القديم والحديث ؟

إن الانظار ستصقل على مر السنين هذا التمثال العظيم القائم فى ميدان المحطة رمزا وطنيا خالصا لمصر ، وسيبقى اسم مختار فى ديوان مجدنا القومى عنوانا لنهضة الفن الجميل فى وادى النيل

بذل مختار شبابه وقوته للفن ولمجد مصر من ناحية الفن . وقد يكون المرض الذى يعانيه الآن من آثار جهده الماضى .

فى بعض حجرات « المستشفى الفرنسى » بالعباسية ، يقيم مختار منذ اشتدت به العلة ، وصار فى حاجة الى علاج يقظ متواصل ، والى راحة لا يجدها المريض إلا فى المستشفيات ، واذا كان عواد مختار قليلين ، فقد يكون هو فى شغل بأوصابه عن كثرة الزوار وقلتهم ، وعز وفاء الناس وتقصيرهم ، لكن علينا جميعا أن نخف بكل ما فى قلوبنا من عطف وبر سرير ذلك المريض العزيز ، تحية لعبقريته وتكريما لمجده الفنى ، وابتهالا الى الله العلى أن ينجيه من براثن الداء ، ويكتب له العافية والشفاء . ؟

* كتبت هذه القطعة الرائعة قبل أن يستأثر الله بالفنان القدير : (الرسالة)